من وحى السيرة

١ — بطل الأبطال : للأستاذ عبد الرحمن بك عزام

٢ — صور إسلامية: للأديب عبد الحميد الشرقاوى

— ١ —

لا شك أن الإنسانية لم تعرف فى تاريخها من عظمة النفس ، وسمو الروح ، ونبل الغرض ، وقوة العزيمة ، وصفاء النفس ، وحسن السيرة ، مثل ما عرفت فى شخصية محمد صلوات الله عليه ، ذلك النبى الكريم ، والرسول العظيم ، والمثل الأعلى للبطولة والجهاد فى سبيل العقيدة والإخلاص لله !

هذه العظمة الإنسانية التى تمثلت فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وفى سيرته ، كانت وما تزال وستظل على مدى الدهر روعة تملأ القلوب وتهز مشاعر الناس فى جميع العصور والأجيال سواء آمنوا أم كفروا ، وتفتح لأهل الفكر والأدب والتاريخ آفاقاً مشرقة يقبسون من نورها ، ويهتدون بهديها ، ويجدون فى كل جانب من جوانبها مادة موانية ، وثروة باقية للفكر والأدب والتاريخ ...

والذين كتبوا فى سيرة النبى وشخصيته كثيرون حتى ليخطئهم العد ، وما أحسب سيرة ولا شخصية قد أخذت من عناية الكتاب والأدباء والمؤرخين فى الشرق والغرب مثل ما أخذت تلك السيرة الحميدة ، وهذه الشخصية العظيمة . وعلى الرغم من ذلك فما زال القول فيها جديداً ، والبحث عنها طريفاً ، والحديث فى أسرارها مهما طال وتكرر حلو سائغ كله الروعة والجلال ، يهش له القلب ، وتهفو نحوه الروح ، وترتاح له النفس ...

وهذان كتابان من وحى الشخصية العظيمة ، والسيرة الخالدة أسعدنى بهما الحظ ونحن فى مطلع الهجرة حيث يحلو الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجب التأسى بسيرته .

أما الأول فكتاب « بطل الأبطال » للأستاذ عبد الرحمن بك عزام ، وهو جملة أحاديث تناول فيها المؤلف الفاضل أبرز صفات النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم عن شجاعته ، ووفائه ، وزهده ، وقناعته ، وتواضعه ، وتعبده ، وعفوه ، وصفحه ، وبره ، ورحمته ، وفصاحته ، وبلاغته ، وحسن سياسته ، وحكمته فى تصريف الأمور ، ونظام الحرب ، ووضع الأساس لحرية الدعوة وحرية العقيدة للأديان السماوية جميعاً ، ثم تكلم عن أثر الدعوة المحمدية فى النفوس ، وصلتها بالقلوب ، وكيف فعلت فعلها فى الفرد ، وشمل سحرها الجماعة ، فبدلت الناس غير الناس ، والأرض غير الأرض ، وما زلنا وما زال العالم فى آثار ذلك حتى آخر الدهر .

ولقد أحسن الأستاذ المؤلف كما يقول أستاذنا المراغى إذ تناول السيرة الكريمة من الناحية الخلقية ، فإن الناس أحوج ما كانوا فى أى عصر من العصور إلى أن يهتدوا بأخلاق محمد ، ويقبسوا من نوره . وزاد الأستاذ إحساناً إذ استخلص هذه السيرة الكريمة من الحادثات والوقائع الصحيحة فى التاريخ ، فلم يرسل القول دعاوى يعوزها البرهان ، ويلتمس لها الدليل ، بل قرن الرأى بالحجة ، وثبت القول بالواقعة ، واستدل للحديث بالرواية الصادقة

وإذا كان الشاعر لا يفهمه إلا شاعر كما يقولون ، فالرجل لا يقدره إلا رجل كذلك ، والأستاذ عزام بك رجل من أهل الجلاد والجهاد ، والرأى والعزيمة ، وإنه ليكبر ذلك فى شخصية محمد صلوات الله عليه ، ويتخذه مثلاً أعلى للبطولة والرجولة ، فلما وقف بقبره أخذ مأسوراً — كما يقول — بهذه البطولة ، وتملكه روح لا يزال يشرق من غيابة الماضى ، هو روح سيد الرجال ، وبطل الأبطال ، وبهذه العقيدة تحدث الأستاذ الفاضل عن النبى الكريم ، فجاء كتابه صفحة مشرقة بالإعجاب والإشادة ببطولة محمد ورجولته ، وما ينقصها إلا الإفاضة والاستيعاب بما يكافئ عظمة السيرة الخالدة ، والأستاذ يعترف بذلك ويرجو أن تسعفه الفرصة فيفيض ويستوعب وإنا لمنتظرون .